مـــدخـــــل/ مراحل النقد الأدبي الجزائري :

إن النقد الأدبي ثمرة للأدب ثمرة طبيعية للبيئة والأديب، فوظيفة النقد الأدبي هي تقويم العمل الأدبي، وبيان قيمته الموضوعية، وتحديد مكانه وما أداه للعربية أدبا ولغة وتصوير خصائص صاحبه الشعورية والتعبيرية والنفسية، وكشف العوامل الخارجية التي أثرت أو اشتركت في التأثير عليه، والنقد الأدبي عرفه العرب منذ العصر الجاهلي، حيث اعتمد على السليقة والفطرة يستمد منها أحكامه، لكن لم تحدد أصوله وقوانينه إلا في العصر الحديث، نتيجة لجهود متعددة قام بها مشاهير نقاد العصر الحديث.

والغرض من دراسة النقد الأدبي معرفة القواعد التي نستطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية أجيدة كانت أم غير جيدة، فإذا كانت جيدة أو رديئة، فما درجتها من الحسن أو القبح ومعرفة الوسائل التي تمكننا من تقويم ما يعرض من الآثار الطيبة، ويلاحظ أن هناك دائما عداء بين النقاد والأدباء نتيجة الأحكام التي يصدرها النقاد على الآثار الأدبية.

ولقد شهد المغرب العربي الإسلامي أواخر القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس للهجرة حركة نقدية واسعة خاصة "العهد الصنهاجي" الذي انتعشت فيه الحياة الثقافية وبرز إلى الوجود علماء وأدباء وشعراء ونقاد مما يحق لنا أن نعتبر هذه الفترة بمثابة العصر الذهبي لبلاد المغرب في ميادين شتى أنواعها وفروعها، ولعل أشهر أمراء هذه الدولة والذي يرجع إليه الفضل في إنماء الحركة الفكرية والثقافية في هذه الربوع **"المعز لدين الله الصنهاجي"** "الذي كان محبا لأهل العلم وكثير العطاء، مدحه الشعراء وانتجعه الأدباء، وكانت حضرته محط بني الآمال"ومن أبرز الشعراء والأدباء الذين ظهروا خلال هذه الفترة" إبراهيم بن علي بن تميم الحصري، صاحب كتاب(**زهر الآداب وثمرة الألباب)**، و"محمد بن جعفر القزاز" صاحب كتاب(**الضرائر الشعرية)** و**"عبد الكريم النهشلي المسيلي"** والذي اشتهر بكتابه **(الممتع في علم الشعر وعروضه)** و**ابن رشيق المسيلي** المشهور **(بالقيرواني)** في كتابه **(العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)** وغيرهم من نقاد بلاد المغرب العربي الإسلامي .

***والنقد الجزائري هو تراثنا** ويعتبر هو بالنسبة لنا السند القوي والبحث فيه هو إزالة لما يكشفه من غموض لأن التراث يعد ذاكرة الشعوب وسندها الخلفي تعود إليه خاصة عند ضعفها، تفتش فيه عن العبر والقيم التي تساعدها في النهوض من كبوتها. ولكن قبل الولوج إلى الحركة النقدية يجدر بنا ذكر أهم المراكز الثقافية التي كانت توجد في المغرب العربي إلى جانب القيروان في تونس. نجد في الجزائر ظهرت **قلعة بني حماد (المسيلة) وبجاية وتهرت وتلمسان...** بينما ظهرت في المغرب الأقصى **فاس** و**مكناس...**

ولكن من بين هذه الحواضر تميزت **(القيروان)** بصفة خاصة واستقطبت معظم الشخصيات والنشاطات

الفكرية. هذه الحواضر لعبت دورا مهما في انتعاش الحركة الفكرية والثقافية حتى وان كانت تعطيهم القليل الذي يجعلهم يتوجهون إلى القيروان

***الروافد الثقافية للنقد في المغرب العربي:**

ليس ثمة شك في أن النقد في الأقطار المغربية قد أفاد من مختلف العلوم الإنسانية، وارتكز في ظهوره وتطوره على أسس صلبة مكنته لاحقا من الاستقلال بنفسه ومن هذه الروافد:

1. **رافـــد محلي:** يتمثل خاصة في الحركات الفكرية التي شهدتها المراكز الثقافية في المغرب العربي الإسلامي، والتي شهدت جوانب من قضايا تتعلق بالشعر والنثر، وبالعلوم الدينية وغيرها.
2. **رافد مشرقي عربي:** وهو ضروري زاد النقد العربي ثراء بفضل ما لقحه به من نظريات نقدية وبلاغية عن طريق الاتصال الشخصي أو المثاقفة حيث ألموا بجوانب كثيرة من هذا النقد والنصوص الإبداعية في المشرق العربي الإسلامي. وهذا الرافد الثاني بقدر ما لقح الأفكار وأنار الطريق للمغاربة، بقدر ما عقد لهم الأمر، فهم قد وقفوا طويلا قبل أن ينتجوا في مجال النقد أو الإبداع، لأن لهم خلفيات ثقافية، وأرصدة هائلة من التراث المشرقي، وحتى يستطيع أحد أن يزعم الشاعرية، فإنه لا بد أن يضع في حسابه من سبق من عباقرة هذا الفن، كالمتنبي والبحتري وغيرهما...ولعل ذلك هو الذي حدا بهؤلاء إلى أن يقلدوا حتى في استشهاداتهم ولم يلتفتوا إلى الشاهد الأندلسي أو المغربي إلا لماما.
3. مـا يتمثل في**(المنطق والفلسفة)** وهما فنان قد أثريا الفكر الإسلامي في المغرب العربي وحين ندرس هذا النقد المغربي، فإننا لا نريد أن نبتر الصلة التي تربطه بنظيره في المشرق العربي لأن الآصرة قائمة، والوشيجة ماثلة، أضف إلى ذلك أن القريحة العربية ـ وإن تباعدت سكنا ـ فإنها تتشابه إنتاجا بسبب ما يطبع البيئة والعقلية والحضارة العربية التي تستمد ضياءها من هموم مشاركة، ومن عادات وتقاليد تكاد تتماثل مابين المشرق والمغرب العربيين الإسلاميين، ومهما يكن لا بد من الاعتراف بأن النقد المغربي، قد استطاع أن يؤصل نفسه، ويؤسس لمدرسة نقدية كان لها الأثر في ما لحقها من نظريات نقدية متجددة فيما بعد. فوطن لنظريات على صيغة العصر من الجوانب التي احتفت بقضايا "**البديع" و"التخييل"و "اللفظ والمعنى" و"السرقات"**... وهي قضايا شغلت عندهم حيزا كبيرا لكونها ظلت تسيطر على اهتماماتهم زمنا لتزداد اتساعا على مدى القرنين الرابع والخامس الهجريين. أضف إلى ذلك ما طفحت به مؤلفاتهم من طرح **(لقضية القديم والجديد)**....ومع إطلالة **(القرن التاسع عشر)** دخل الوطن العربي مدار **التأثير الحضاري الأوروبي** خاصة مصر وسوريا وكان ذلك إذانا ببدء عصر جديد في أمتنا العربية عرف باسم "**النهضة**". وقد عنت"النهضة" عند روادها تحقيق التقدم الحضاري عن طريق بعث التراث الحضاري العربي القديم واستخدامه في سد حاجات العصر غير أن ذلك كان يعني في الوقت نفسه تملك منجزات الحضارة الأوروبية والعلم والأدب الأوروبيين.

إن الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها التي شهدها **(مطلع القرن العشرين) ساعد كل ذلك الأدب والنقد الأدبي على تحقيق قفزة نوعية إلى ما كان عليه في **(القرن التاسع عشر)** وقد تجلى ذلك في الأمور الهامة التالية:

1-**إزداد الأدب إلتصاقا بالحياة** : فأصبح في نظر النقاد مصدرا من مصادر التاريخ الصادقة، يعطي صورة عن بيئته وعصره، إذ أنه يتأثر بهما، كما يؤثر فيهما. ولذلك دعا النقاد في المرحلة الجديدة إلى دراسة البيئة والعصر

دراسة دقيقة، وبذل الجهود في الاستقصاء واستخدام معطيات علم النفس وغيره من العلوم إلى جانب علم التاريخ من أجل إصدار أحكام موضوعية صادقة على العمل الأدبي.

2- سيطرت على النقد في هذه المرحلة **(اتجاهات ومذاهب مختلفة)** وانقسم إلى تيارات تعبر في مجملها عن تطلعات الحركة الفكرية والاجتماعية المتنامية وعن وعي المجتمع النظري لقضايا الأدب.

3- استفاد النقد العربي من(**النقد الأوروبي)** كثيرا مدخلا في مجال دراسته مباحث مثل الخيال، والعاطفة ودراسة الشخصية والبيئة والعصر، ووحدة القصيدة، مما لم يرد منه في النقد العربي القديم، غير لمحات يسيرة منثورة هنا وهناك في أعمال النقاد العرب القدامى. وعلى هذا يبدو النقد ـ في إطار الجدةـ هو النقد الذي يطمح إلى معالجة الآثار الأدبية علاجا منظما يكشف عن أفكارها وقيمها ويجيب عن شتى أسئلة تدور حول الصلة بين الأدب ومادته الموروثة وبين الأدب وإيديولوجيات العصر وبين الأدب وحياة الفنان وعلاقته بالمجتمع في ماضيه وحاضره على حد سواء.

* ولا شك أن العلاقة بين الأدب والنقد حميمة علاقة جدلية فمن الصعب الفصل بينهما. فإذا كانت مهمة الأديب التعبير عن إحساسه بما حوله وبالواقع الذي يصوره وبمعنى آخر إذا كان الأديب يشكل المادة الأولى الأساسية ليجعل منها عملا مؤثرا قادرا على نقل الإحساس بالجمال من جهة وابراز القيم الإنسانية من جهة أخرى، إذا كانت هذه مهمة الأديب المبدع، فإن مهمة الناقد هي تفسير هذا الجمال واظهار طريقة الأديب في الحث على الخير أو نقد الحياة وما فيها من زيف وظلم واستبداد وغيرها.

*والواقع أنه يمكن التمييز بين ثلاث مراحل مر بها النقد الأدبي الحديث في الجزائر وهذه المراحل متداخلة إلى حد كبير ولكن هناك سمات خاصة بكل مرحلة نظرا لظروف الأدب ونظرة الأدباء ونظرا لواقع الثقافة القومية التي تعرضت لمؤثرات وعوامل عاقت الأدب والنقد على أن يتطورا في اتجاه سليم.

ففي المرحلة الأولى التي تمتد من **(القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الثانية(1939)** كانت النظرة الغالبة إلى النقد الأدبي في الجزائر هي النظرة القديمة للأدب. ولكن حين تغيرت الحياة الفكرية والأدبية نوعا ما في بداية **(القرن العشرين)** بدأ النقد الأدبي يتطور نسبيا ولكن بقيت النظرة التقليدية هي السائدة. ومع هذا فإنه في مطلع القرن العشرين بدأت تتغير النظرة اتجاه وظيفة الأدب ومفهومه وبلا شك فإن تحديد المفاهيم يساعد على رؤية جديدة وعلى أسلوب جديد.

* إنّ أديب ما بعد الحرب العالمية الثانية أصبح يفهم الأدب والشعر بوجه خاص على أنه التعبير عن مشاكل الوطن وهمومه وآلامه. كما ظهر بين الحربين العالميتين الدعوة إلى تجاوز الواقع والبحث عن مخرج للأدب والأديب معا. والذين تعرضوا بالنقد لهذه الفترة وهم قلة أحسوا بضعف الشعر خاصة في **(بدايات القرن العشرين)** حيث عبروا عن تشاؤمهم من وضع الشعر وضعفه. على أن هذه الآراء المتقدمة حول النقد والشعر لم تستمر ولم تجد صدى لها في نفوس الأدباء لأسباب كثيرة منها كان الشعراء والنقاد من المحافظين التقليديين ومن رجال الدين

الإصلاحيين. ولذا كان مفهوم النقد منصبا على الفهم التقليدي وهي نظرة تتماشى مع الفكر الإصلاحي النقدي الذي يعنى بالجانب العام في الحكم ولا يعنى بالأديب وإحساسه وتجربته الخاصة.

*وبعد **الحرب العالمية الثانية** كنا نتوقع نهضة أدبية ونتوقع مرحلة جديدة للنقد سواء فيما يتصل بالشعر أوالنثر غير أن ذلك لم يحدث صحيح أن الإحساس بالنقد وأهميته وبالأدب ودوره قد تضاعف ولكن هذا الإحساس بقي مجرد شعور لم يترجم في ميدان التطبيق. حقيقة أن هناك معركة قامت أسهم فيها أدباء ونقاد تلك الفترة وانقسم الرأي العام إلى فريقين: أحدهما يلوم الأدب والأدباء والثاني يدافع عنهما ويحمل الظروف لما يعاني منه الأديب المنشئ والناقد معا.

*وبعد **الاستقلال:** انتقلت البلاد إلى مرحلة جديدة اتسمت بمعارك دارت حول الثقافة القومية وحول الأدب والفن وحول السياسة والتفكير الواقعي المضوعي والحضارة المعاصرة وحول اللغة العربية وما إلى ذلك من سبيل.وكان لابد أن يتأثرالأدب والنقد بهذا الوضع وأن تظهر محاولات للتجديد في الأدب والأخرى في النقد تقويما من جهة وإرساء لتقاليده من جهة أخرى لذلك أثيرت قضية الشكل والمضمون وقضية الأديب الملتزم والأدب الهادف ووحدة القصيدة ومالى ذلك. بدأ الأدب يدخل تجارب جديدة وبدأت تظهر نزعات ولا أقول مدارس أو مذاهب ولا يغيب على البال فيما نحن بصدده أن النشر يشكل عقبة كبيرة لا للمبدع المنشئ وحده ولكن للناقد أيضا. وإلى جانب هذه الأسباب هناك سبب واضح في ركود النقد وتأخره وهو تجاهل المهتمين بالأدب الجزائري إما تجاهلا أو تعاليا مقصودا نتيجة موقف بعض الكتاب الذين ينظرون إلى الإنتاج المحلي بمنظار آخر جعلهم يترفعون عن نقد ما ينشر لدينا بدعوى أنه ليس في المستوى. ومن غير شك أن المتلقي يمثل عقبة كبيرة تقف أمام الأديب وما ينتج فكيف نتحدث عن النقد وننسى من يوجه إليه الأدب بشتى ألوانه وأساليبه.... إن الأمية المنتشرة بين المواطنين تشكل عائقا كبيرا وتمثل الجدار السميك الذي يحول بين الأديب ودوره الحقيقي في خدمة هذا القارئ. إن الحديث عن النقد قي مثل هذا الوضع الخاص بالجماهير التي حرمت من القراءة والكتابة حقبا طويلة بسبب سياسة التجهيل التي رسمها الاستعمار وأعوانه ربما يمثل ترفا في الفكر فلكي نجد أدبا حيا ونقدا سليما لا بد أن يوجد قبل ذلك القارئ الذي هو الغاية الأولى والأخيرة. والواقع أن العناية بالنقد تعني العناية بالمستقبل وتعني أيضا عدم الرضى بالواقع وترمي إلى النزوع نحو الأفضل والطموح إلى الأرسخ ذلك أن الحديث عن النقد حديث عن حقيقة الحياة بمعنى من المعاني وحديث عن الإنسان وغاية الأدب والنقد والفن هي خدمة الإنسان ومعرفته وفهمه ولم تزدهر الحضارات سوى بالنقد والتمحيص والبحث عن الجديد الذي يتماشى وروح العصر.

*وفي الحديث عن النقد الأدبي الجزائري الحديث إنه بدأ بدايات متعثرة كانت لها هفواتها فيكاد يقع إجماع على أننا لا نجد **(نقدا ممنهجا قبل سنة1961)** فما كان قبل هذا التاريخ لا يعد أن يكون محاولات متناثرة في الصحف والمجلات والتي كان يمثلها بعض الكتاب أمثال: **رمضان حمود** و**محمد السعيد الزاهري** و**محمد البشير الإبراهيمي** و**حمزة بوكشة** و**رضا حوحو** و**أحمد بن ذياب** وغيرهم.

** ولعل النهضة النقدية بالجزائر بدأت على يد **(أبي القاسم سعد الله)** في كتابه **(محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث)** ومنذ ذلك الحين باشرت الجزائر نهضتها النقدية ليصبح الجو الفكري العام مهمته النقد الأدبي

كضرورة ملحة باعتباره الموجه والمرشد الذي يواكب الحركة الأدبية دافعا عجلة الصيرورة والتطور. ورغم الإعاقات التي واجهت الأدباء والنقاد على حد السواء إلا أنهم لم يكونوا منغلقين على أنفسهم أو منقطعين مما يجري في العالم من نشاطات أدبية ونقدية بحيث أفادوا من البيئة العربية كما أفادوا من البيئة الأوروبية لكن الإفادة الأقوى كانت من البيئة العربية وكل هذا انعكس في كتاباتهم بكل وضوح.